

بيتاً زرارة محتب بنفسائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
وبالحاقتات قوله :

وأين تُقضى المالكات أمورها بحق وأين الخاققات اللوامع
والفرزدق يريد بهن الأبيات الإشارة إلى القصائد التي
تضمنتها وهي من عيون شعره ومتين نغمه

وضعف جرير في الفخر إنما يرجع إلى الموضوع لا إلى الأسلوب ،
فإنه أجل خصوصه صياغة ، وأوفرهم بلاغة ، وأرقهم لفظاً ،
وألطفهم مدحلاً ، وأكثرهم اقتنائاً . ولسهولة شعره وقلة غريبه
تفق عند العامة والشعراء ، دون الرواة والعلماء

وهجاء هؤلاء الأقران الثلاثة إذا استثنينا منه المعاني الجديدة
والهجة الشديدة والتصوير البارع ، لم يخرج عن سمات الهجائيين
الفحول كالخيل الفريمي ، وحسان بن ثابت ، والحطيئة ، في
الابتداء بوصف الظل والظل ، والاعتماد على المفاخرة والمنافرة ،
وتلمس العيوب من خبايا الماضي ، والانتقال المقتضب من معنى
إلى معنى . وأشد ما يبيح هجاء جرير والفرزدق كثرة التكرار ،
فإن كلا الرجلين إنما يهجو صاحبه بطائفة من الحوادث والصفات
ذكرناها من قبل ، فلا نراه يبدل عنها ، ولا يكاد يزيد عليها ،
وإنما يرددها في كل قصيدة أو تقيضة في أساليب شتى وقوافير
مختلفة ، فإذا قرأنا لكل واحد منهما واحدة منهم لا يضيرنا
بمدها ألا نقرأ غيرها . كذلك إذا ألمنا بهجاء الأخطل والفرزدق
وجرير فقد ألمنا بسائر الهجاء في هذا الطور ، لأنه مصوغ من
مادته ومضروب على مثاله

على أن أساليب شعراء العراق في الهجاء الحزبي تختلف عنها
في الهجاء الفردي ، فبيناهم في هذا لا يترفعون عن المسجر ولا
يتورعون عن الكذب تزام في ذلك يذهبون مذهب الجاهليين ،
فيخاضون بالنسب ، ويكاثرون بالمدد والمال ، ويؤثرون اللفظ
الشريف والأسلوب العف ، بيد أنهم يفلون في الفخر حتى يجعلونه
في الدين والحكم والعلم والوطن

قال أعشى همدان وهو من أنصار ابن الأشعث :

أكع البصرى إن لاقيته إنما يكسع من قل وذلل
واجمل الكوفي في الخيل ولا تجمل البصرى إلا في النفل

٤ - الشعر *

في صدر الاسلوم وعهد بني أمية
بقلم أحمد حسن الزيات

٣ - خصائص الشعر في العراق

وكان الهجاء كان في جرير غريزة يرى الناس عنها لأذى
سبب وعلى غير معرفة ، فقد دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده
عدي بن الرقاع الساملي ، فقال له الخليفة : أتدري هذا ؟ قال :
لا يا أمير المؤمنين ، فقال : هذا رجل من طاملة ، قال جرير :
التي يقول فيها الله : « طاملة ناصبة تصلى ناراً حامية » ، ثم قال
بيتاً قبيحاً ورد عليه عدي بمثله ، فهجاء جرير بقصيدة منها
ذلك البيت المشهور :

وإن البون إذا ما لُز في قرآن لم يستطع صولة البزل القناعيس
ولعل ذلك راجع إلى ميل في طبع أمه إلى هذا الضرب من
البذاء والابذاء ، فاشتهت أن تراه فيه ، حتى صُورت لها تلك
الأممية في الحلم ، فرأت وهي حامل به أن حبلًا نزل منها فصار يشب
على الناس فيخنفهم واحداً بعد واحد ، فلما تأولت رؤياها قيل لها :
إنك تلدين ولداً يكون شديد الهجاء والبلاء على الناس والشعراء ،
قسمته لذلك جريراً ؛ وسواء أرأت أمه هذه الرؤيا أم افترتها ،
فقد كان لها ولا ريب أثر قوى في توجيه قريحته منذ طفولته

وهجاء جرير على الجملة ضعيف الفخر لبعد مستقام فيه ،
وما استطاع الفرزدق أن يمجزه إلا في مشواره ، فهو يقول له بحق :
غلبتك بالفقأ والمعنى وبيت المحتبي والحاقتات

يريد بالفقأ أو الفقأ قوله :

ولست ولو فقات عينك واجداً أبأ لك إن عد الساعي كدارم
وبالمعنى قوله :

وإنك إن تسي لتدرك دارماً لأنت المعنى يا جرير المكلف
وبالمعنى قوله :

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربي الذي صدر حديثاً

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فطننا بكم يوم الجمل
بيت شيخ خاضب عثونه وقى أبيض وضاح رقتل
جاءنا يخطر في سابسة فذبجناه ضحى ذبح الجمل
وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتهم نعمة الله الأجل
ومن هجائه السياسى الدينى قوله مرئجزاً فى الحجاج :

شطت نوى من داره بالابوان

إوان كسرى ذى القزى والريحان
إن نقيفاً منهم الكذبان كذابها الماضى وكذاب فان
أمكن ربى من تقيف همدان إنا سمونا للكفور الفتان
حين طنى بالكفر بعد الايمان بالسيد النظرىف عبد الرحمن
سار بجمع كالدى من تحطان قفل لحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع منحج وهدان فانهم ساقوه كأس الديقان
وملحقوه بقرى ابن مروان

وهذا النوع من الهجاء قليل النفوق والبقاء ، كثير النفاق
والرياء ، لطمع الشعراء فى حياء الخلفاء وإيثارهم فى الغالب سلامة
البدن على سلامة العقيدة . وليس الهجاء الحزبى إلا صورة من
صور الشعر السياسى الذى نفق فى هذا العصر ؛ وما نزعهم بهذه
التسمية أن الاسلاميين قد وقعوا على مذهب فى الشعر جديد
القصود والغاية ، فان مساجلة الخصوم بالشعر كانت مألوفة فى عصر
الجمالة مشروعة فى عهد النبوة ، إنما تقصد بالشعر السياسى طائفة
من الممانى الجديدة استوححتها خواطر الشعراء من اختلاف
الأحزاب فى رأى ، وتنازع الزعماء فى الحكم . جاءت هذه
الممانى الجديدة على النهج القديم فى صور مختلفة ، نستطيع أن
نردها الى أربع : فقد أتت فى صورة المدح المشوب بالتحريض
والتعريض كقول أبى العباس الأعمى :

أبنى أمية لا أرى لكم شها إذا ما التفتت الشيع
سعة وأحلاماً إذا نرعت أهل الحلوم فصرها النزع
أبنى أمية غير أنكم ، والناس فى أطمعوا طمعوا ،
أطمعتمو فيكم عدوكم فما بهم فى ذاكم الطمع
فلو أنكم كنتم لقومكم مثل الذى كانوا لكم رجوعوا
عما كرهتم أو كرهتم حذر العقوبة ، إنما نزع

وكقول الكعبى :

بنى هاشم رهط النبى فأننى بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفقت لهم منى جناحى مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وأرمى وأرمى بالمدارة أهلها ولانى لأوذى فيهم وأؤنّب

وكفة الأمويين فى هذا الباب أرجح ، لما تجمع لهم من
الترغيب فى المال ، والترهيب بالملك ، والتخليق لهوى النفوس ،
فدحهم ونصرهم أكثر الشعراء فى عصرهم ، إما دفماً لشرم
وإما طمعاً فى خيرهم ، حتى الذين شايبوا خصومهم من الزبيريين
والمعلويين لم يستطيعوا حبس لعابهم عن عطايا القصر

وقد يأتى الشعر السياسى فى صورة الهجاء كما مر ، وكما قال
أعشى ربيعة لعبد الملك :

آل الزبير من الخلافة كالى عجل التاج بحملها فأحلمها
أوكالضمان من الحولة حملت ما بلا تطيق فضيقت أحلمها
قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم للفؤاة أطلتم أمهالها
إن الخلافة فيكم لا فيهم ما زلتم أركانها ونملمها
أمسوا على الخيزرات قفلاً مفلماً فانفض يمينك فافتتح أقفالها
وقد يكون اقتراحاً لسياسة واستطلاعاً لرأى ، كقول
مسكين الدارى ، وقد أوعز إليه معاوية أن يقترح البيعة من يده
لابنه يزيد ليعلم رأى قومه فى ذلك :

إليك أمير المؤمنين رحلتها تثير القفا ليلاً وهن هجود
ألايت شمعى مايقول ابن عاصم ومروان أم ماذا يقول سعيد
بى خلفاء الله مهلاً قائماً يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر القربى خلاه رثه قال أمير المؤمنين يزيد
قلما أتم إنشاده قال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين
ونستخير الله

ومثل ذلك حدث من عبد الملك ، فقد أراد أن ينقل ولاية
العهد من أخيه عبد العزيز إلى ابنه الوليد ، فأمر النايقة الشيبانى
أن يقترح ذلك فى حضرة الناس فقال :

لآبنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مطرَح
داود عدل فاحكم بسيرته ثم ابن حرب فانهم نصحوا
وهم خيار فاعمل بسنتهم واحى بخير واكده كما كدهوا

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً
في الناس شركاً إذا ما وحدوا الصمدا
إلى أن قال :

كل الخوارج مخطى في مقالته ولو تعبد فيما قال واجتهدنا
أما عليٌّ وعثمان فانهما عبيدان لم يشركا بالله مذ عبدا
الله أعلم ما قد يحضران به وكل عبد سبقت الله منفردا
هذه جملة المعارض التي فرضت بها المعاني السياسية ، ولعلك
تلاحظ من هذه الأمثلة أنها في الغالب سهلة النسخ ، نافية
القافية ، بادية التكلف ، تشبه من بعض الوجوه نظم المتنون .
وعلة ذلك أن اتصالها بالوجدان ضعيف ، وأن أكثرها إنما يصدر
عن طبع مكره ، أو شعور ممالق ، أو قريحة كابية ، والفرق بين
شعر الأخطل والفرزدق وجبر ، وبين شعر هؤلاء الذين ذكرنا
كالفرق بين من يمر عن شعوره وحسه ، ويدافع عن قبيله ونفسه ،
وبين من يتصل لسانه بقلب غير قلبه ، ويدفعه طمعه إلى عمالة
حزب غير حزبه

على أن من شعراء الأحزاب من قالوا الشعر عن عقائد دينية
وعواطف نفسية ، ونوازع عصبية ، فكان لشعرهم جمال الاخلاص
وروعة اليقين ، وقوة الحقيقة ، أولئك هم شعراء الشيعة والخوارج ،
سحق علينا ونحن في مقام البحث في شعر المراق أن نديم النظر
ساعة في أشعارهم ، لنستشف من خلالها صور مذاهبهم وأنكارهم
الزيات (يتبع)

قسم البلديات قلم التنظيم

تقبل المطايات لقسم البلديات بوزارة الداخلية حتى
ظهر يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ عن توريد ٢٧٠ لوحة
لشوارع مدينة الفيوم مكتوبة بالمرية والأفرنجية
وتطلب الشروط والمواصفات من قسم البلديات مقابل
٥٠ ملياً ، وتقدم المطايات داخل مظاريف محتومة بالجمع
الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ٢٪ من قيمتها وكل
عطاء يرسل بطريق البريد ويصل متأخراً لا يلتفت إليه

فابتسم عبد الملك ولم يتكلم ، فلم الناس أن ذلك أمره
ثم يكون أحياناً جدلاً في رأي أو بياناً لمذهب ؛ فمن الجدل
السياسي ما وقع بين كعب بن جعيل والنجاشي في المفاضة بين علي
ومعاوية . فقد قال كعب :

أرى الشام تكره ملك المراق وأهل العراق لهم كارهينا
وكل لصاحبه مبنض يرى كل ما كان من ذلك ديننا
وقالوا عليٌّ إمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لهم فقلنا لهم لا نرى أن نديننا
وكل يسر بما عنده يرى غث ما في يديه سمينا
وما في عليٍّ بمستمب ينال سوى ضمه المحدثينا
وليس براض ولا ساخط ولا في النهاية ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا هو سر ولا بد من بعد ذا أن يكوننا
فلما بلغ ذلك الامام علياً أمر النجاشي أن يجيبه فقال :

دعني معاوية ما لم يكوننا لقد حقق الله ما تحذرونا
أنا كم عليٌّ بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟
يرون الطمان خلال المجاج وضرب الفوارس في النقع ديننا
هو هزموا الجمع جمع الزبير وطلحة والمشر لنا كئينا
فان يكره القوم ملك المراق فقدمنا رضينا الذي نكرهونا
فقولوا لكعب أخى وائل ومن جعل النش يوماً سمينا :
جلم علياً وأشياعه نظير ابن هند ألا تستحونا ؟
ومن البيان اللذهبي قول كثير عزة يشرح عقيدة الشيعة
في الامامة :

ألا إن الأئمة من قرين ولاية الحق أربعة سواء :
عليٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسياط ليس بهم خفاء
فسيط سبط إيمان وبر وسيط غيبته كربلاء
وسيط لا يذوق الموت حتى يقود الخليل يقدها اللواء
تصيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده غسل وماء
وكقول ثابت قطنة ، وهو من شعراء الأمويين ، يفصل
منه الأرباء :

يا هند فاستمعي لي إن سيرتنا أن نعيد الله لم نشارك به أحدا
ترجي الأمور إذا كانت مشبهة وتصلق القول فيمن جارأوعندا
السلون على الاسلام كلهم والمشركون استبوا في دينهم قددا